القائد الاعلى للجيوش العربية
خان قضية فلسطين !

الملك عبد الله يطلع جلوب باشا على خطة
الجيوش العربية فيصر على تعديلها
لأنها كانت كفيلة بالقضاء على الصهيونيين

الجيش الأردنى حال دون إنقاذ القوات المصرية
فى الفالوجا

تحت هذه العناوين البارزة وبحروف ضخمة على عرض الصفحة الأولى ، نشرت جريدة « المصرى » فى عددها الصادر بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ المقال الخطير التالى :

تدرس اللجنة السياسية للجامعة العربية فى هذه الايام مشروع الضمان الجماعى بين الدول العربية ، ومن المعلوم ان أساس هذا المشروع توحيد القيادة العسكرى واطلاع كل دولة من الدول

الاعضاء على قوات الدولة الاخرى وخططها العسكرية . وقد رأت « المصرى » ان تنشر فى هذه الظروف بعض أسرار حرب فلسطين الاخيرة وما جرى فيها من خيانات كانت السبب الاول فى الخسارة الجسيمة التى منيت بها الدول العربية . والقصد من اذاعة هذه الاسرار هو تحذير المسئولين العرب الذين يدرسون مشروع الضمان الجماعى من الخطر الاكيد المحدق بهم اذا اشركوا فى مشروع الضمان الجماعى دولة شرق الاردن التى لا يهم المسئولين فيها الا أرضاء الجالس على عرشها وتحقيق أطماعه واطماع من يسيره ، تنفيذا لخطة واضحة معروفة ، ولو فنى العرب جميعا .

وقد اطلعت الشعوب العربية على كثير من المخازى ، والمواقف غير المشرفة التى وقفها جلالة الملك عبد الله وحكومته . ولا يكون الحديث عن هذه المواقف كاملا ، مالم يتناول هذا الحديث الشخصية التى تسير الملك عبد الله وهى شخصية « أبى حنيك » واعماله ، تلك الشخصية الجاثمة على صدر العرب عامة ، والاردنيين خاصة .

فالبريجادير جنرال جلوب باشا ، قائد الجيش الاردنى المعروف للعـــرب باسم « أبى حنيك » وللاعراب فى شرق الاردن باسم « الصاحب » ، رجل بريطانى ، بلغ من المكانة فى تدعيم الاستعمار وتشييد صرح الامبراطورية البريطانية فى بلاد العرب ، ما لم يبلغ شأوه الكولونيل لورنس المشهور ، واضرابه من بناة الامبراطورية ، الذين عملوا من وراء ستار « الادعاء بصداقة العرب » !

لعب هذا « الصاحب » خلال ما يقرب من ربع قرن فى شرق

الاردن أدوارا كثيرة ، بالاتفاق مع جلالة الملك عبد الله ، وحكوماته ، كان لها أكبر تأثير فى شؤون فلسطين والقضايا العربية الاخرى . ويضيق بنا المجال لو أردنا بحث سلسلة هذه الاعمال ، لذلك نكتفى بالاشارة الى الاعمال البارزة والظاهرة منهـا ، التى قاموا بتنفيذها فى حرب فلسطين . . تلك الاعمال التى تشكل أخطر أدوار المأساة الفلسطينية ، والتى يعود اليها الفضل الاول فى تفويت فرصة الانتصار على الدول العربية وفى تشييد دولة اليهود فى فلسطين

* * *

قبل حلول اليوم الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ ، وقع ضغط بريطانى قوى على الدول العربية لاسناد القيادة العليا للجيوش العربية الى جلالة الملك عبد الله بن الحسين . . وبعد تردد طويل استجابت أكثرية الدول العربية للضغط الاجنبى ، فأصبح الملك عبد الله « القائد الاعلى » والجنرال نور الدين « العراقى » قائدا عاما !

واجتمع رؤساء أركان حرب الدول العربية فى الزرقاء ، الواقعة الى الشمال من عمان ، ووضعوا خطة عسكرية حكيمة ، كان من شأنها لو نفذت ، القضاء على دولة اسرائيل قبل أن ترى النور

وكانت تلك الخطة تهدف الى تحقيق الحركات العسكرية التالية :

١ — يتحرك الجيش اللبنانى من رأس الناقورة نحو الساحل الفلسطينى باتجاه عكا وحيفا

٢ — يتحرك الجيش السورى من مرتفعات بانياس وبنت جبيل نحو صفد والناصرة فالعفولة

٣ — يتحرك الجيش العراقى من جسر المجامع وجسر بنات يعقوب « على نهر الاردن » باتجاه غور بيسان فالعفولة

٤ — يتحرك الجيش الاردنى من جسر الشيخ حسين وجسر دامية «على نهر الاردن» باتجاه جنوب بيسان فشمال جنين الى العفولة

(ولم توضع فى مؤتمر الزرقاء العسكرى خطة منطقة القدس والمثلث العربى لسيطرة المجاهدين الفلسطينيين التامة على المراكز المنيعة واحتلالهم لمجموع الاراضى العربية حتى خط الطيرة ـ قلقيلية ـ رأس العين ـ مطار اللد ـ اللد والرملة ـ على بعد ١٧ كيلو مترا من الساحل الى الشرق)

وكذلك لم توضع خطة (لحركة الجيش المصرى لاستقلاله فى قيادته)

وتقع مدينة العفولة ـ وهى من اكبر المستعمرات اليهودية ـ فى السهل المعروف (بمرج ابن عامر) وعلى بعد ٢٥ الى ٣٠ كيلو مترا من الساحل الفلسطينى ، وكان القصد من التقاء الجيوش السورية والعراقية والاردنية فى العفولة التحرك منها نحو الساحل واحتلال منطقتى الخضيرة وناثانيا اليهوديتين ، وبذلك تشطر فلسطين الى شطرين ، ويقضى على كل اتصال بين يهود الشمال (حيفا وصفد ومستعمرات المرج ومستعمرات بيسان وطريا) وبين يهود الجنوب (تل أبيب وملبس ورحوبوت ومنطقتى غزة والمجدل) .

وطلب جلالة الملك عبد الله بن الحسين ـ بصفته القائد الاعلى ـ ان يطلع على مضمون الخطة العسكرية الموضوعة فى اجتماع الزرقاء .

فسلمه القائد العام نور الدين محمود ، الخطة ، وأطلع الملك عبد الله البريجادير جلوب باشا (قائد الجيش الاردنى) على الخطة العسكرية المشتركة . فلما أدرك جلوب باشا خطورتها ، وما يؤدى تحقيقها من القضاء على اليهود ، بادر فورا الى تغيير الخطة

فأصدر (القائد الاعـلى) ـ أى الملك عبد الله ـ اوامره للسير على الخطة الجديدة ، التى وضعها جلوب باشا وكان ذلك قبل ٤٨ ساعة فقط من الموعـــد المقرر لدخول الجيوش العربية اراضى فلسطين ! وأطاع قواد الجيوش العربية أوامر القائد الاعـــلى ، واخذوا فى تطبيق الخطة الجديدة ، وهى كما يلى :

١ـ ان يقوم الجيش السورى بالاتجاه نحو سمخ ! فاضطر الجيش السورى الى نقل قواته ـ تحت سمع اليهود وبصرهم ـ من المرتفعات الشمالية الى السهول الشرقية

٢ ـ أن يتقدم الجيش العراقى من جسر المجامع نحو مستعمرة جيشر اليهودية ، ثم يتجه غربا نحو السهول .

٣ ـ أن يتقدم الجيش الاردنى من جسر دامية نحو نابلس وجنين وطول كرم ، ومن جسر اللنبى نحو اريحا وجبال القدس ومنطقة رام الله « وجميع هذه المناطق عربية خالصة وكانت بايدى المجاهدين الفلسطينيين ولم يكن عليها خطر مباشر من اليهود »

فكان من نتيجة تلك الخطة أن الجيش السورى تعرض لمقاومة يهودية عنيفة ، انقلبت الى هجوم شنيع ألحـــق بالجيش السورى

ـ خصوصا لعدم خبرته فى الجبهة التى نقل اليها فجـأة ـ خسائر فادحة ، كانت السبب فى ضعضعة ذلك الجيش وتجميده فى مكانه

أما الجيش العراقى فقد تقدم نحو مستعمرة « جيشر » وأخـذ يقصفها بقنابل مدفعيته الثقيلة ، ولكنه لم يصادف نجاحا ، وكانت القنابل ترتد عن حصون جيشر وكأنها كرات من المطاط . ذلك لان حصون جيشر هذه كانت هى نفس حصون « خط ايدن » التى أقامها الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية لوقف هجوم جيوش المحور المنتظر ، وكان جلوب باشا يعرف تلك الحصون لانه كان أحد الخبراء العسكريين البريطانيين الذين أشرفوا على بنائها !

وأما الجيش الاردنى فقد تقدم ـ دون ماحاجة الى اطلاق قذيفة واحدة ـ نحو اريحا وجبال القدس ومناطق رام الله ونابلس واللد والرملة .

فكانت النتيجة من تطبيق تلك الخطة « الجلوبية » أن أصاب الجيوش العربية فشل ذريع . كان السبب المباشر للابقاء على اليهود ، ومن ثم على اسرائيل !

ووقف الجيش الاردنى على جبال القدس الشرقية على بعد ٣ كيلو مترات من المدينة القديمة ، كما وقف على مشارف المدينة الشمالية « طرق رام الله » ، وعلى بعد كيلو مترين من الاحياء العربية الشمالية وقف دون حراك ، ولم يتقدم لنجدة جيش الجهاد المقدس الفلسطينى الذى كان يدافع عن المدينة المقدسة فى وجه أقسى هجوم يهودى . وصمد المجاهدون أربعة أيام بلياليها ، استمات خلالها

أهل القدس فى الدفاع عنها ، حتى ردوا الهجوم اليهودى والجيش الاردنى لم يتحرك ، بل على العكس من ذلك ، أخذ يمنع نجدات المجاهدين من منطقة رام الله والمثلث من الوصول الى القـــدس ، وذهب الامير نايف بنفسه وبصحبته البريجادير لاش «مساعد جلوب باشا» ومنع الضابط عفيفى البزرى من اطلاق قذائف مدفعية كانت لجيش الانقاذ ، أبى البزرى الا استعمالها فى قذف القدس الجديدة تخفيفا لضغط الهجوم اليهودى على المدينة القديمة ، فاضطر البزرى الى الانسحاب أمام الجيش الاردنى

وكانت كل الدلائل تثبت ان جلوب باشا كان يرغب فى سقوط القدس القديمة بايدى اليهود . . فلما خاب ظنه ، أمر الجيش الاردنى بالتقدم ، فاحتل المدينة القديمة ، ومنع «بالقوة» جيش الجهاد المقدس من التوغل فى الاحياء اليهودية واحتلالها .

وصرح دافيد بن غريون ، رئيس حكومة اليهود ، بانه لم يكن لليهود عند دخول الجيوش العربية النظامية الى فلسطين غير ٨٠٠ مقاتل يهودى نظامى ، سلاحهم محدود ضعيف ، وبدون مدفعية ثقيلة ! وكان يهود القدس البالغون ١٢٠ الف نسمة على وشك الاستسلام ، ومع ذلك أحرز اليهود نصرا بفضل خطة جلوب باشا التى أمر (القائد الاعلى) بتنفيذها .

درس الشهيد المغفور له الشيخ حسن سلامة ، أحد أبطال ثورة فلسطين العظمى (١٩٣٦-١٩٣٩) الفنون العسكرية فى بغداد ١٩٤٠ وفى المانيا خلال الحرب العالمية الثانية . وعندما دخلت الجيوش

النظامية العربية فلسطين لانقاذها من الصهيونية الآثمة . . كان الشيخ حسن سلامة يقود جيش الجهاد المقدس فى المنطقة الوسطى ، وكان يسيطر على مدينتى اللد والرملة ومطار اللد الدولى الكبير ، وعلى جميع المراكز الهامة الواقعة الى الشمال حتى معسكر رأس العين على مسافة ١٣ كيلو مترا من مطار اللد . وكان الشهيد والمجاهدون يضيقون على اليهود من تلك المراكز ، ويهددون ملبس وتل أبيب ورحوبوت ، وكانت منطقة اللد والرملة بموجب خطة جلوب باشا الآنفة الذكر من نصيب الجيش الاردنى . وكان فيها متطوعون من ابناء العشائر الاردنية يتعاونون مع اخوانهم المجاهدين الفلسطينيين للدفاع عن تلك المنطقة ، وفى شن الهجمات الشديدة على اليهود .

وبالطبع فان ذلك لم يكن مدعاة لارتياح جلوب باشا ، فارسل قبل عقد الهدنة الاولى ببضعة ايام ، قوة نظامية من الجيش الاردنى فاحتلت المراكز التى كان يحتلها المجاهدون الفلسطينيون والمتطوعون الاردنيون ، فلما اتفقت الدول العربية على (الهدنة الاولى) أمر جلوب باشا بجمع سلاح المجاهدين بحجة وجود هدنة ، وخوفه من خرق المجاهدين لها لانهم « غير نظاميين » وتعهد باعادة السلاح لهم حالما تنتهى الهدنة ، وفى الوقت نفسه سرح ابناء العشائر الاردنية واستولى على اسلحتهم .

وكان الشيخ حسن سلامة ، يوجس خيفة من غدر الجيش الاردنى بالعرب ، ويخشى ان يتجنب مقاتلة اليهود . فاتصل بالمغفور له القائد المصرى احمد عبد العزيز ، ليتقدم الجيش المصرى الخفيف الحركة

من بيت لحم عبر جبال العرقوب ، مارا بمستعمرة عرطوف فباب الواد ، للاتصال بالمجاهدين فى منطقة اللد والرملة .

فلما انتهت الهدنة الاولى وقررت الدول العربية بالاجماع استئناف القتال ، رفض جلوب باشا تسليم السلاح للمجاهدين ، وأعلن انه لا يعترف بقرار الدول العربية ، لان هيئة الامم المتحدة كانت تريد استمرار الهدنة !! اما قوات احمد عبد العزيز فقد تحركت فعلا - بمجرد انتهاء الهدنة الاولى - لتحقيق الخطة المتفق عليها ! وبينما كان الناس ينتظرون أن تقوم القوات الاردنية الموجودة فى اللد والرملة - وكانت قوات كبيرة ومجهزة باحسن الاسلحة وبعدد من الدبابات والمصفحات الكبيرة - بشن هجوم على اليهود والوصول الى تل أبيب ، اذا بها تنسحب من اللد والرملة ، وتسلمها لليهود بدون قتال ، فاحتلوهما والقرى المحيطة بهما وشردوا مائة وخمسين الفا من العرب من السكان ومن اللاجئين من منطقة يافا ، ونهبوا اموالهم وآذوهم فى اجسادهم ونكلوا بهم شر تنكيل ، فاضطر الجيش المصرى الى العودة الى بيت لحم بعد أن وصلت طلائعه الى عرقوب فى طريقها الى اللد والرملة . وهكذا انكشفت ميمنة الجيش المصرى الاساسى الزاحف من جنوب فلسطين ، وضاعت منطقة اللد والرملة حتى باب الواد غربا (على طريق القدس) .

وأرسل جلوب باشا برقية الى القائد اليهودى يهنئه فيها على احتلال الجيش اليهودى لمنطقة اللد والرملة . ولما سأله المونسنيور جلاد وكيل بطريرك اللاتين فى القدس عن صحة خبر تلك البرقية لم

ينكرها جلوب باشا وقال ما نصه بالفرنسية Cest La Politique
ومعناها (ان السياسة تقضى بذلك)

وكانت قوات كبيرة من الجيش الاردنى تحتل معسكر العلمين جنوبى القدس ومركزا آخر فى ضاحية مستعمرة تل بيوت جنوبى القدس ايضا . وكان سكان الاحياء العربية فى المدينة الجديدة (القطمون والطالبية والبقعة الفوقا والبقعة التحتا) يعتمدون على وجود تلك القوات بالاضافة الى قوات الجهاد المقدس . وفى منتصف ليلة ١٤ مايو شن اليهود هجوما على تلك الاحياء ، فصمد لهم المجاهدون وعلى رأسهم البطل ابراهيم ابو دية ـ شفاه الله ـ ولما اشتد الضغط اليهودى تطلع المجاهدون الى القوات الاردنية لمعاونتهم ، واذا بتلك القوات تنسحب من مراكزها يوم ١٤ مايو وتسلمها الى اليهود . وكانت النتيجة أن ابيدت قوات المجاهدين ، فقد استشهد من حامية القطمون وحدها ٢٠٦ مجاهدين من ٢١٧ مجاهدا ، وأن احتل اليهود تلك الاحياء العربية وشردوا خمسة وعشرين ألفا من سكانها .

عندما حوصرت القوات المصرية فى الفالوجا وانفرد الجيش المصرى بمقابلة اليهود فى الجنوب وفى النقب ارتفعت الاصوات بانتقاد الجيوش العربية لموقفها ولعدم اشتراكها فى القتال . فجاء الى مصر فخامة السيد مزاحم الباجه جى وسعى الى رتق الفتق واعادة وحدة الكلمة . ونتيجة للمحادثات التى جرت فى القاهرة تقرر ان تقوم الجيوش العربية بعمل مشترك لاستعادة الفالوجا وانتقل رؤساء اركان الحرب العرب من القاهرة الى (الزرقاء) فى شرق

الاردن حيث وضعوا خطة عسكرية مفصلة لتنفيذ الاتفاق .

وكانت خلاصة تلك الخطة ارسال لواء (الاى) عراقى من منطقة نابلس الى منطقة الخليل ، وفوجين (أورطتين) سوريتين مجهزتين تجهيزا كاملا الى منطقة الخليل أيضا ، لتعضيد اللواء العراقى فى قيامه بهجوم على الفالوجا بطريق بيت جبريل لانقاذ حامية الفالوجا ، وعين تاريخ للقيام بتلك العملية .

وانتقل رؤساء اركان الحرب الى عمان ، ولما اطلع الملك عبد الله على الخطة وافق عليها كما وافق عليها رئيس الوزارة توفيق أبو الهدى ووزير الدفاع فوزى الملقى

وزار جلوب باشا رؤساء أركان الحرب فى مكان اجتماعهم ، ولما أطلع على الخطة اعترض عليها وقال : هذا غير ممكن . واعلن ان الجيش الاردنى فى منطقة القدس لن يسمح للواء العراقى بالمرور ... وان الجيش الاردنى لن يسمح للفوجين السوريين باجتياز اراضى شرق الاردن الى فلسطين ! وقال انه اذا نفذنا هذه الخطة فان اليهود سيقصفون مدينة عمان بالقنابل من الجو .

ونجح جلوب باشا فى موقفه وتهديده ، فمنع تنفيذ تلك الخطة ، وهكذا ظل ابطال مصر محاصرين فى الفالوجا وظل الجيش المصرى يتحمل وحده عبء القتال فى فلسطين . .